

## ملاحح التجديد في شعر بشار بن برد

لم يترك بشار بن برد لونا من الشعر إلا وقاله , سواء في الغزل , الهجاء أو الرثاء.

وبما أن العصر العباسي كان يمثل نقطة تغيير مهمة للشعر العربي , فبشار كان له دور كبير في هذا التغيير , فما هو الجديد الذي جاء به بشار في موضوعاته , أغراضه وصوره الفنية؟ وكيف انعكست تجربة الرجل الضرير على أبياته الشعرية؟! لقد قال عنه الجاحظ: (ليس في الأرض مولد قروي يعد شعره في المحدث إلا وبشار أشعر منه), إذن فالجاحظ يعتبره أفضل الشعراء المحدثين.

احتذى بشار بالنمط التقليدي وسار على البناء القديم في شكل القصيدة, أما المضمون فقد ادخل عليه الكثير من التجديد.

فنال رضا المحافظين على القديم والمولدين في آن واحد, سلك طرقا لم تسلك قبله , وتشبعت أبياته بأبعاد فلسفية واضحة , وامتازت صورته بالتعقيد مثل التشبيه المركب الذي اشتهر به كقوله:

وجيش كجناح الليل يزحف بالحصى

وبالشوك والخطى حمر ثعالبه

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا

وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

صورة بليغة للغاية يصعب على المبصرين أن يأتوا بمثلها فكيف إذن بشاعر كيف لا يرى.

اتصل بالمتكلمين وأكثر من الاحتجاج والاستدلال في شعره , كما أنه نظم أقوال بعض الائمة ورجال الأفكار ومثال على هذا نظم الحكمة القائلة : انظر الى ما ينفكك ودع كلام الناس إذ لا سبيل الى النجاة من كلام الناس , فقال:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته

وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

ومن جديده ايضا حسن التعلل فهو يتناسى العلة الظاهرة ويلتمس علة أخرى طريفة مثل:

عميت جنينا والذكاء من العمى

فجنئت عجيب الظن للعلم موئلا

أغراضه الشعرية:

\*الغزل

كان غزله مميزاً لأنه صور ما تركته حاسة السمع من أثار في النفس مثل قوله:  
يزهدني في حب عبدة معشر  
قلوبهم فيها مخالفة قلبي

فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى  
وما تبصر العينان في موضع الهوى  
فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب  
ولا تسمع الأذنان إلا من القلب

ومن أجمل ما قاله في الغزل:

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة  
قالوا بمن لا ترى تهذي؟ فقلت لهم:  
والأذن تعشق قبل العين أحياناً  
الأذن كالعين توفي القلب ما كانا

\*المديح

المديح هو أكثر الأغراض الشعرية التي وصلت بشار بالتراث القديم، إذ إنه سار على نهج الشعراء في المديح منذ الجاهلية؛ فكان يذكر الأطلال ورحلة الناقة وصولاً إلى مدح الممدوح بالشمائل التي درج العرب على التفاخر بها كالشجاعة والكرم وغيرها، وهو من أقل الأغراض التي جدد فيها، ويظهر تجديده في إضفاء طابع المبالغة الذي يعدُّ جديداً على الذائقة العربية، إلى جانب توليد معانٍ جديدةٍ استوحاها من المعاني التقليدية.

قال بشار بن برد في مدح خالد بن برمك:

إذا جِنَّهُ لِلْحَمْدِ أَشْرَقَ وَجْهُهُ  
لَهُ نِعَمٌ فِي الْقَوْمِ لَا يَسْتَنْبِيهَا  
إِلَيْكَ وَأَعْطَاكَ الْكِرَامَةَ بِالْحَمْدِ  
جَزَاءً وَكَغَيْلِ التَّاجِرِ الْمُدُّ بِالْمُدِّ

\*الفخر

أغلب أشعار بشار بن برد كان يفخر بنفسه، قائلاً:

إنني من بني عُقَيْلِ بْنِ كَعْبِ  
موضع السيف من طلى الأعناق

ويتغنى بأصله الفارسي وبأخواله من الروم فيقول:

بِأَنِّي ذُو حَسَبِ عَالٍ  
جَدِّي الَّذِي أَسْمُو بِهِ  
عَلَى ذِي الْحَسَبِ  
كِسْرَى وَسَاسَانُ أَبِي  
وَقَيْصَرُ خَالِي إِذَا  
عَدَدْتُ يَوْمًا نَسَبِي

## \*الهجاء

كانت لظاهرة العمى التأثير الأكبر في هجاء بشار بن برد، وخاصة هجاءه المقذع، وقد اتخذ من الهجاء متنفساً في التعبير عن حقه الدفين على بعض القوميين العرب، وكان معظم هجئه مقذع، والجميع كان يخشى بشار ولسانه الفاحش، وأكثر من هجاء بشار هو حماد عجرد، عدوه اللدود، فقال مرة في مشاحنة شعرية بينهما:

نهاره أخبث من ليله  
ما خلق الله شبيهاً له  
والله ما الخنزير في نتته  
بل ريحه أطيب من ريحه  
ويومه أخبث من أمسه  
من جنّه طُراً ومن إنسه  
برُبُعه في التتن أو حُمسه  
ومسه ألين من مسه

حتى أن الشعر كان سبب موته كذلك فحين انحرف بشار عن بني العباس أظهر له المهدي فتورا فغضب بشار فمدح وزيره فلم ينفعه ذلك بشيء فهجى المهدي ببينتين هما :

بني أمية هبوا طال نومكم  
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا  
إن الخليفة يعقوب ابن داود  
خليفة الله بين الزق والعود

فبعث المهدي اليه صاحب الزنادقة فضربه حتى مات ولم يخرج أحد لدفنه لأنه مات وخصمه الخليفة.

.....

## فيمكن القول إن شعر بشار بن برد انفردت بسمات خاصة من أهمها:

- 1- خلّو شعره من التعقيد والتكلف، فكان بشار شاعراً مطبوعاً يقول الشعر ارتجالاً ويُجيد فيه.
- 2- قوّة الأسلوب والبراعة في الصياغة وجودة بناء القصيدة.
- 3- جزالة الألفاظ المستخدمة وفصاحتها وبعدها عن الخطأ وتجنّب غريب الألفاظ، وبساطتها ووضوحها في الوقت ذاته، فقد كان بشار شاعراً لعامة الناس.
- 4- التوسّط بين القديم والحديث من الشعر.
- 5- دقة الوصف والتصوير؛ إذ إنّ حرمانه من نعمة البصر لم يمنعه من الإجادة في هذا الجانب.
- 6- بثّ روح العاطفة القوية والإحساس المُرّهف.
- 7- ظهرت في شعر بشار النظرة العميقة والعقلية الجادة.
- 8- تنوّع الأغراض والموضوعات الشعرية التي تناولها بشار، فامتاز شعره بكثرتة وجودته.
- 9- التأثير بمجريات العصر والتطور الحضاري.